

عودة الصين إلى الكونفوشيوسية

China's Return to Confucianism

إعداد الدكتورة/ شريفة أحمد علي المالكي

أستاذ مساعد، تخصص العقيدة، قسم الدراسات الإسلامية، الكلية الجامعية بأمّالج، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية

Email: salmaliki@ut.edu.sa

المخلص:

تحتوي صفحات هذا البحث دراسةً موجزة بعنوان (عودة الصين إلى الكونفوشيوسية)، ويتناول ديانة الصين الرسمية وتعاليمها التي عاد إليها الشعب الصيني بعد الذي رآه من فساد الشيوعية وظلمها وانحلالها، كما يوضح معتقدات هذه الديانة ونشأتها وأبرز دعواتها، ويدرس أثرها على المسلمين في الصين. وقد استخدم البحث المنهج التاريخي الوصفي، واقتضت طبيعته تقسيمه إلى مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة. احتوت المقدمة على تمهيد تناول الأديان الشرقية، وتناول المبحث الأول تعريف الكونفوشيوسية ونشأتها وأهم رموزها، وجاء المبحث الثاني لتوضيح مصادر هذه الديانة ومعتقداتها، ثم جاء المبحث الثالث ليوضح موقف الكونفوشيوسية من الإسلام والمسلمين، وفي المبحث الرابع جاء تسليط الضوء على عودة الكونفوشيوسية إلى الصين. وقد ختم البحث بخاتمة وضحت أهم النتائج والتوصيات، ومن أهم النتائج أن الكونفوشيوسية دين وثني، يعبد كل ما في الكون من سماء وأرض، وبحار وأنهار، وملائكة، وأرواح الأباء والأجداد، وقد كانت معروفة قبل كونفوشيوس بديانة العارفين، أو ديانة العالمين، ولا يؤمن الكونفوشيوسيون بالبعث والجنة والنار. ومن خلال النظر والتأمل في عقيدة الكونفوشيوسيين في الإله والملائكة، وموقفهم من الأنبياء والأصنام، يظهر لنا أن تلك المنطقة لا يمكن أن تخلو من إرث نبوي سابق، وإن لم تجزم المصادر بذلك. وأن مفردات الكونفوشيوسية الأخلاقية تكاد تكون متوافقة مع ما جاء به الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الكونفوشيوسية، الصين، الأديان الشرقية، العقيدة، الأنبياء.

China's Return to Confucianism

By: **Dr. Sharifa Ahmed Ali Al-Maliki**

Assistant Professor, Majoring in Aqeedah (faith), Department of Islamic Studies, Umluj
University College, Tabuk University, Saudi Arabia

Abstract:

This research is a brief study entitled (China's Return to Confucianism), which deals with China's official religion and its teachings to which the Chinese people returned after what they saw of the corruption, injustice and degeneration of communism. It also explains the beliefs, origins and most prominent preachers of this religion, and examines its impact on Muslims in China as well. The researcher used the descriptive historical method, and divided the research into an introduction, four sections and a conclusion. The introduction contained a preface to the Eastern religions, the first section dealt with the definition of Confucianism, its origins and its most important symbols. The second section clarifies the sources and beliefs of this religion, while the third section clarifies the position of Confucianism towards Islam and Muslims. The fourth section highlights the return of Confucianism to China. And the research winds up with a conclusion that clarified the most important findings and recommendations.

The most important results of the research is that Confucianism is a pagan religion, worshipping all that is in the universe of heaven and earth, seas and rivers, angels, and souls of fathers and grandfathers, and was known before Confucius as the religion of the knowers, or the religion of the savants, and that the Confucians do not believe in resurrection, heaven and fire.

By contemplating and meditating on the Confucians belief in God and angels, and their attitude towards prophets and idols, it appears to us that this region cannot be devoid of a previous prophetic legacy, even if the sources do not confirm this. And that the moral vocabulary of Confucianism is almost compatible with the teachings of Islam.

Keywords: Confucianism, China, Eastern religions, Faith, Prophets.

1. المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على نبي الرحمة والهدى نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فإنَّ التَّديُّنَ في بني البشرِ فِطْرَةٌ متَّصِلَةٌ في النَّفوسِ؛ فليس نَمَّةً جماعَةً بلا دين، بغضِّ النَّظرِ عن كَوْنِ هذا الدِّينِ صحیحًا أو فاسدًا وثنيًّا، ومن المعلوم أنَّ الأديانَ - بالنَّظرِ إلى المعبود- تُقسَمُ إلى قِسْمَيْنِ؛ أمَّا القِسْمُ الأولُ فيضمُّ الأديانَ الصَّحيحةَ المنزَّلةَ من عند الله، التي تدعو إلى توحيدِه - تعالى- وتبذِّ كلَّ معبودٍ سِوَاهُ؛ وهي اليهوديةُ والنَّصرانيةُ والإسلامُ، غير أنَّ اليهوديةَ والنَّصرانيةَ قد حُرِّفتا عمَّا أَرادَه اللهُ فنسخها اللهُ بالإسلام الذي بظهوره وظهور نبوة محمدٍ لا يقبل اللهُ دينًا غيرَه، وأمَّا القِسْمُ الثَّاني فيضمُّ الأديانَ الشَّرْكيةَ الوثنيةَ، ومعبوداتهم متعدِّدةٌ لا تنحصر في معبودٍ واحدٍ؛ ومن هذا القِسْمِ: الأديانُ الشَّرْقيةَ التي كَثُرَتْ معبوداتها؛ فكلُّ ما يخيفهم أو يُعجِبهم يجعلونه إلهًا ويسمُّون آلهتهم باسمه؛ فمنهم من يعبدُ الشَّمْسَ والقمرَ، ومنهم من يعبدُ الطَّبيعةَ والكونَ، ومن يعبدُ الأشجارَ والأصنامَ، ومن يعبدُ الحيواناتِ كالْبَقَرِ، والقردةِ، والفئرانِ، ومن يعبدُ الأشخاصَ والأموالَ، وغيرَ ذلك من مخلوقات الله التي يتقربون إليها بكلِّ خضوعٍ وتذلٍّ، ويطوفون حولها، ويقدمون لها القرابينَ والأموالَ، ويمارسون في سبيل التقرب إليها الرياضاتِ وما يسمُّونه التأمُّلَ.

ومن هذه الديانات: الصَّابئةُ المندائيون، ومنها الهندوسيةُ، والشنتويةُ، والسِّيخيةُ، والمهاريشيةُ، والجينيةُ، والبوذيةُ، والطاويةُ، والكُونفوشيوسيةُ.

وسوف يقتصر بحثنا هذا على ديانة الصِّينِ وتعاليمها المتمثلة في تعاليم كُونفوشيوس التي ضَعُفَتْ فيما بعد في ظلِّ الشُّبُهويةِ، ثم ما لبثَ الشَّعبُ أن عاد إلى هذه التعاليم؛ لِمَا رَأَوْه من فسادِ الشُّبُهويةِ وظلمها، وانحلالها؛ ولهذا كان عنوانُ البحثِ (عَوْدَةُ الصِّينِ إلى الكُونفوشيوسية).

1.1. سبب اختيار الموضوع:

1- حُبُّ التَّعرُّفِ على أديان الصِّينِ عامَّةً، وعلى الكُونفوشيوسيةَ خاصَّةً؛ لأنها ليست مجردَ أفكارٍ، بل هي ديانةُ أهلِ الصِّينِ الرَّسميةُ.

2- التَّعرُّفُ على أحوالِ الكُونفوشيوسيةِ وعلاقتها بالإسلام والمسلمين.

2.1. أهداف البحث:

1- بيان ملامح الكُونفوشيوسية ومعتقداتها.

2- توضيح نشأتها وأبرز دُعائها.

3- أثرها على المسلمين في الصِّينِ.

3.1. الدراسات السابقة:

رسالة علمية عنوانها: (الكُونفوشيوسية: ماضيها، حاضرُها، موقفُ الإسلام منها)، للدكتور ناصر بن فلاح الشَّهراني.

4.1. منهج البحث:

المنهج التاريخي والوصفي.

5.1. خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس، بيانها على النحو التالي:
- المقدمة: احتوت على تمهيدٍ عن الأديان الشرقيّة، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

- المبحث الأول: تعريف الكونفوشيوسية ونشأتها وأهم رموزها.

- المبحث الثاني: مصادرها ومعتقداتها.

- المبحث الثالث: موقف الكونفوشيوسية من الإسلام والمسلمين.

- المبحث الرابع: عودة الكونفوشيوسية إلى الصين.

- الخاتمة وفيها نتائج البحث.

- قائمة المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

ونسأل الله العون والتوفيق.

المبحث الأول: تعريف الكونفوشيوسية ونشأتها وأهم رموزها

- تعريف الكونفوشيوسية والاسم الحقيقي لها.

- نشأة الكونفوشيوسية.

- الكونفوشيوسية دين أم مجرد فلسفة أخلاق.

- تعريف كونفوشيوس: اسمه، ومولده، وتعليمه، ومناصبه، ووفاته.

- أبرز رموزها بعد كونفوشيوس.

تعريف الكونفوشيوسية والاسم الحقيقي لها:

الكونفوشيوسية ديانة أهل الصين، وهي ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مضيئاً إليها جانباً من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم، وهي تقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد⁽¹⁾. والقول الشائع في الدوائر الفكرية الحديثة أنّ الكونفوشيوسية ليست إلا فلسفة أخلاقية قائمة على أفكار كونفوشيوس وتعاليمه، وليست بدين مستقل، والبعض يراها من أديان الصين، ومؤسسها هو كونفوشيوس.

(1) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف ومراجعة الدكتور مانع الجهني، ط5/دار الندوة العالمية

وقد اشتهر مصطلحُ الكُونفوشيوسية في العالم بعد ما استخدمه المستشرقون لأول مرة حين وصلوا إلى الصين، ودرَسوا أديانها وفلسفاتها وأفكارها، واخترعوا هذه التسمية في القرن الثامن عشر الميلادي، ثم نُقلت هذه التسمية من الإنجليزية إلى العربية عن طريق الترجمة بعد ذلك، ولم تكن التسمية معروفةً ولا موجودةً قبل هذا العصر، بل كانت الكُونفوشيوسية تُعرف بين أتباع أديان الصين المختلفة باسم "رو جاو" ومعناه "تعاليم العارفين"، أو "روجا" ومعناه "مذهب العارفين" الذي توارثوه من تاريخ الصين القديم المسجل الذي جاء به الأنبياء الملوك القدامى في أرض الصين كما يعتقدون، وكان كونفوشيوس واحداً منهم -إن لم يكن ملكاً في الظاهر- لكنه نال مكانة عظيمة في نفوس الصينيين، وصار ملكاً باطنياً ومُرشدًا روحياً طوال تاريخ الصين، وإنما غلب اسمه لِدوره العظيم الذي أداه في إحياء تراث "رو جاو"، وتجديد روحه، وجمع أسفاره المقدسة القديمة وتحريرها، ومُجاهدته التي لا تُعرف المَلل في سبيل نشره حين ضَعُفَ هذا الدين بسبب الانحطاط الطارئ عليه في عصرٍ من عصوره.

والذي أدى إلى هذا الخطأ امران:

1- أنه ليس ثمة كلمة في اللغة الصينية القديمة تقابل "religion" التي هي الكلمة المقابلة لكلمة الدين في الترجمة الشائعة، أما كلمة "زونغ جاو" المقابلة لكلمة الدين في اللغة الصينية الحديثة فهي كلمة جديدة اخترعها العلماء في العصر الحديث ليُعبّروا عن معنى الدين بعد دخول التبشير والثقافة الغربية الحديثة إلى الصين، وقد أثار هذا في نفوس العلماء الغربيين الذين تعرّفوا أفكار الصين وثقافتها لأول مرة فلم يجدوا ديناً كما هو المألوف عندهم في ثقافتهم، بل وجدوا تعاليم كونفوشيوس وفلسفته الأخلاقية بين المذاهب الفلسفية المختلف، فسمّوها كُونفوشيوسية، وتبعهم من جاء بعدهم في خطئهم، وقد نبّه بعض العلماء الكونفوشيوسيين إلى هذا الخطأ في التسمية؛ منهم الأستاذة "تشين جابي" في كتاب ألفتها بالمشاركة مع الأستاذ "خانغ كونغ" تحت عنوان "النصرانية وأديان الصين".

2- المعنى المصطلحي لكلمة "رو جاو" أي تعاليم العارفين التي يعبر بها الصينيون عن هذا الدين، وهذه الكلمة تتكوّن من لفظتين: "رو" و"جاو"؛ أما لفظ "رو" فهي لفظ قديمة جداً كانت شائعة قبل عصر كونفوشيوس، ومعناها اللغوي "العالم" أو "العارف"، أما اصطلاحاً قبل عصر كونفوشيوس فهي طبقة من أصحاب العلم والمعرفة انفصلت في قديم الزمن عن طبقة السحرة والكهنة والمؤرخين والمنتخبين، ووظيفتها هي الحفاظ على الشريعة وتعليمها للناس.

وأما المعنى الاصطلاحي بعد عصر كونفوشيوس فهو المذهب الذي أقامه كونفوشيوس.

وأما اللفظة الثانية "جاو" فهي لفظ قديمة جداً، معناها اللغوي التعلّم والتربية والتذكير، وليس لها استعمال اصطلاحى معين إذ يختلف معناها حسب تركيبها مع الألفاظ الأخرى، وأحد استعمالات هذه اللفظة جاء في كتاب سنة التوسط: "الذي أمره تيان (الإله السماوي) يسمى فطرة، والعمل بمقتضى الفطرة يسمى طريقة، وتعمير الطريقة يسمى تعليماً (جاو)"، ومعنى هذا أنّ "جاو" تعني التعليم باللغة الصينية، وأنّ "رو" طبقة خاصة من العلماء أو العارفين يعملون على حفظ الشريعة وتعليمها للناس قبل عصر كونفوشيوس، وأنّ "جاو" تعبير تلك الطريقة التي تعني العمل بمقتضى الفطرة الإنسانية الخيرة التي فطر للناس عليها وفقّ التعاليم الكونفوشيوسية ليرجع الإنسان إلى أصله المفطور عليه.

وكان كونفوشيوس من طبقة العلماء العارفين؛ وذلك حين ضَعُفَتْ شريعة "تشو" أحيا هذا الدِّينَ والتُّراثَ عن طريق التَّربيةِ والتَّعليمِ والتَّجوالِ في البلاد، وجدَّدَ رُوحَهَا، وحفظها بجمعه وتحريره لأسفارها المقدَّسة، ولم يكن يدَّعي أنه جاء بشيءٍ جديدٍ⁽²⁾.

ومعنى هذا أنَّ هذا الدِّينَ كان معروفاً قبل كونفوشيوس بـ "دين العارفين أو دين العالمين"، ولكنَّ دخولَ المستشرقين الغربيين وفهمهم الخاطئ له جعله مجرداً في نظرهم مجرد أفكارٍ وفلسفةٍ أخلاقية، وتعاليم كونفوشيوس، ولم يَرَوْه ديناً مستقلاً، وتبعهم على ذلك من جاء بعدهم، كما تبعهم العربُ لِقَلَّةِ التَّرجماتِ الصَّحيحةِ مِنَ اللُّغةِ الصِّينيةِ للعربيةِ فاعتمدوا التَّرجمةَ الإنجليزية.

نشأة الكونفوشيوسية:

مرَّت الكونفوشيوسيةُ بعدةِ مراحلٍ تاريخيةٍ، وهناك تقسيمٌ مُجملٌ وتقسيمٌ مفصَّلٌ والمراحلُ التي مرَّت بها في التقسيم المُجملُ ثلاثٌ:

1- مرحلة الكونفوشيوسية: وكانت قبل تأسيس مملكة "تشين"، وتبدأ من بداية عهد الأنبياء في تاريخ الصين القديم "2356 ق.م"، وتمَّزُّ بعصر كونفوشيوس وتلاميذه وحفيده "تس سي" حتى منشيوس "372-289 ق.م"، وتتميز هذه المرحلة بخصائص التأسيس والتَّجديد، وتحريير الأسفار والكتب المقدَّسة.

2- مرحلة الكونفوشيوسية المحدثَّة: وكانت في عهد أسرة "سونغ" وأسرَّة "مينغ" الملكيتين، وقد ظهرت جماعة من الحكماء والعلماء لإحياء الكونفوشيوسية في رُوحٍ جديدةٍ في هذا العهد، كان أشهرهم الحكيم "جو شي 1130-1200م"، وتتميز هذه المرحلة بالرَّدِّ على البُوديَّة والطاويَّة، والاهتمام بمعرفة الفِطْرة والحقيقة، وتعيين الكتب الأربعة كتباً مقدَّسةً أساسيةً، كما ألزمت الحكومة الأساسية كلَّ من يرغب في الاشتغال بالوظائف والمناصب الحكومية أن يدرِّسها ويختبرَ فيها حتى صارت الكونفوشيوسية ديناً رسمياً للحكومة.

3- مرحلة الكونفوشيوسية المحدثَّة المعاصرة: وكانت في بداية القرن العشرين، وظهرت فيها جماعة من العلماء والمفكرين للدِّفاع عن التُّقافة الصِّينية عامَّةً والكونفوشيوسية خاصَّةً، وكانت الكونفوشيوسية تكاد تضمحلُّ تحت نير التَّبشير، وانتشار الأفكار الغربية في أرض الصين وعلى رأسها المادِّية الماركسية، ونظرية التَّطوُّر الدَّاروني، والأفكار الإلحادية؛ فعملت هذه الجماعة على إحياء التُّراث الكونفوشيوسي في هذا العصر. وتتميز هذه المرحلة بالتَّمسُّك بالأخلاق المُشرِقة والدِّفاع عن دينية الكونفوشيوسية، وتأكيد عقيدة الوحدة بين "تيان" والإنسان.

وقد نشأت الكونفوشيوسية المحدثَّة المعاصرة خارج الصين، ولكنها نشِطت داخل الصين منذ ثمانينيات القرن العشرين الميلادي⁽³⁾.

هذا هو التَّقسيمُ المُجملُ لتاريخ الكونفوشيوسية، وهناك من يقسمها تقسيماً مفصَّلاً إلى ستِّ مراحل، لكنَّ هذا التَّقسيمُ شاملٌ لتلك المراحل. ويمكن تلخيصُ التدرُّج التاريخي للكونفوشيوسية وتطوُّرها في عدَّة نقاطٍ:

(2) انظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفوشيوسية، للدكتور زهرة الدين طيب، (ص6-7).

(3) انظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفوشيوسية (ص12). والكونفوشيوسية، ناصر الشهراني (ص182)

- نقل كونفوشيوس أفكار الأقدمين ومعتقداتهم، وكتب ذلك بلغة عصره.
- وكانت العبادة في عصره لإله السماء أو الإله الأعظم، ثم لإله الأرض، وكانوا يقدسون الملائكة ويعبدون أرواح الأجداد.
- بعد موته تكاثرت الناس على قبره وبنوا عليه معبدًا، ثم وصلوا إلى تقديسه ولقبوه "الإله الأسمى".
- وضع على قبره لوحة من عهد أسرة "سج" كتب عليها "هذا قبر أحكم معلّم الصّين القديمة، الملك الكامل العالم بكل شيء".
- ثم لاقت الكونفوشيوسية اضطهادًا في عهد أسرة "تشين شي هوانغ" صاحب سور الصين العظيم، واستمر هذا الاضطهاد من سنة "212 ق.م إلى سنة 207 ق.م"، وقد أقدم على إحراق كتبهم أو دفنهم وهم أحياء، وبلغ عدد المدفونين أحياء 460 فيلسوفًا⁽⁴⁾.
- وبعد موت الإمبراطور أخرج الناس الكتب المقدسة احتفالًا بذكرى كونفوشيوس، ثم اعتلى عرش الصين أباطرة من أسرة "هان"، فزاد انتعاش البلاد في عهدهم، وناصروا كل ما من شأنه توطيد الأمن والسلام، وإحياء التقاليد القديمة، ثم عاد مذهب كونفوشيوس إلى الازدهار.
- وتحت حكم الإمبراطور "هس" -الذي حكم "73 إلى 49 ق.م"- صارت الكونفوشيوسية دينًا رسميًا للبلاد، ودخل في هذه الفترة البوذية والطاوية إلى الصين.
- واستمرت التعاليم الكونفوشيوسية عبر القرون موضع اهتمام وذات تأثير لا في الصين وحدها بل في كوريا واليابان والهند، ووصل تأثير آرائه إلى أوروبا الغربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر.
- في سنة "1955م" ظهر مُدَنَّب هالي في الأجواء الصينية فعد ذلك استياء من الآلهة من أسرة "مانتشو" التي بلغ الفساد في عهدها قمته، وهو ما أدى إلى ثورة انتهت بتنازل الإمبراطور عن العرش وتحول الصين إلى النظام الجمهوري، وهو ما أدى إلى اختفاء الكونفوشيوسية في الحياة الدينية والسياسية، لكنها بقيت في الأخلاق والتقاليد الصينية.
- تشهد الصين هذه الأيام عودة إلى الكونفوشيوسية على المستوى الحكومي والشعبي، إلى جانب أنها تمثل الأساس الرئيس للنظم الاجتماعية⁽⁵⁾.

الكونفوشيوسية دين أم مجرد فلسفة أخلاق:

هناك ثلاث نظريات حول الكونفوشيوسية: هل هي دين لأهل الصين، أم مجرد فلسفة أخلاق وتعاليم كونفوشيوس لأتباعه؟

1- من يرى أن الكونفوشيوسية مجرد فلسفة أخلاق تدعو إلى التخلّق بالأخلاق الفاضلة، والتخلّي عن رذائل الأخلاق، وأنها ليس بها عناصر دينية رئيسية تجعلها دينًا قائمًا بنفسه؛ حتى قال أصحاب هذه النظرية: إن كونفوشيوس لم يكن يؤمن بالإله

(4) انظر: قصة الديانات (ص218).

(5) انظر: الكونفوشيوسية (ص192).

السماويِّ والملائكة والأرواح إيمانًا صادقًا، بل كان متناقضًا في ذلك، وأكثر من قال بهذا هم العلماء الصينيون الملحدون الذين اعتنقوا النظرية الماركسية بعد الثورة الشيوعية سنة 1949م".

2- من يرى أن الكونفوشيوسية تنفصها بعض العناصر الدينية المهمة؛ مثل: وجود الكتب المقدسة الخاصة، وطبقة من رجال الدين المختصين بإقامة الشعائر الدينية، والعبادات المنظمة، وطبقة العامة من الأتباع، على الرغم من وجود بعض العناصر الدينية المهمة؛ مثل: اعتقاد وجود الإله السماوي الخالق "تيان"، والوحدة بين "تيان" و"الإنسانية"، وعبادة "تيان" عن طريق تقديم القرابين، وهذا كله يجعلها دينًا غير منظم ببنية عضوية متكاملة؛ فهي عند أصحاب هذه النظرية دين، لكنه غير منظم، والقائلون بهذا هم العلماء الغربيون.

3- أن الكونفوشيوسية دين مستقل قائم بنفسه، ودين أصيل للشعب الصيني منذ القدم، وأنها تملك أهم العناصر الدينية؛ مثل: الاعتقاد في الإله السماوي الخالق، والإيمان بالوحدة بين الإنسان و"تيان"، وتقديم النصوص الدينية، كما أن لها بعض الطقوس والشعائر الدينية؛ مثل: تقديم العاهل الصيني القرابين للإله السماوي سنويًا نيابة عن جميع الشعب الصيني وهي شعيرة تعبدية، وتعظيمها الأنبياء الملوك الأقدمين، وكان كونفوشيوس وغيره ممن جاء بعده يزورون قبورهم ويبنون المعابد عندها. وأصحاب هذه النظرية يرون أن لكل دين خصائصه التي تميزه بها عن غيره، وأنه لا يصح أن يُنظر إلى كل دين من منظار التعريف الغربي للدين؛ فإنه وإن كانت الكونفوشيوسية لا تملك بعض العناصر الدينية الموجودة في الأديان الأخرى فإن هذا لا يفتح في كون الكونفوشيوسية دينًا.

وأكثر القائلين بهذا هم من الكونفوشيوسيين الذين يعيشون خارج الصين الشيوعية، وقد اشتهروا بأنهم أصحاب الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة⁽⁶⁾.

والصحيح أن الكونفوشيوسية دين، ولكنَّ عدَّه دينًا أسسه كونفوشيوس خطأ، نعم هو دين مستقل له تعاليمه وفلسفته، ولكنه كان قبل كونفوشيوس، وكان معروفًا لدى الصينيين قبله، وما كان كونفوشيوس إلا مجددًا لهذا الدين بعد أن ضعفت لأسباب كثيرة، وظهرت كثير من المذاهب في عصور ضعفه حتى جدده كونفوشيوس في نفوس الشعب الصيني، وهو دين مستقل قائم بنفسه، وله خصائصه التي تميزه عن غيره من الأديان، وفيه نظام فلسفي متكامل يشمل الجانب اللاهوتي، والجانب التعبدية، والجانب الأخلاقي، والجانب الاجتماعي والسياسي، ولكنَّ هذا الدين ليس دينًا سماويًا منزلاً من عند الله، بل هو دين وضعي تتبع فيه الكونفوشيوسية شريعة "تشو"، وهذه الشريعة ليست منزلة من عند الله، والكونفوشيوسية لم تدع قط أن هذه الشريعة منزلة من الإله السماوي، بل تقول إنها من وضع الأنبياء الملوك القدامى عامة و"تشو قونغ" خاصة. وإذا أنكرنا كون الكونفوشيوسية دينًا - بعض النظر عن خصائصه وصحة نسبته إلى نبي من الأنبياء - فسوف نُضطر إلى الاعتراف بأن الصينيين قد عاشوا أكثر من ثلاثين قرنًا من الزمان بلا دين، وهو موقف مخالف للعقل والنقل⁽⁷⁾؛ فلا يبعد أن يكون أصله دينًا صحيحًا سماويًا لقوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) [سورة فاطر: 24].

(6) انظر: الكونفوشيوسية (ص 11).

(7) انظر: المعرفة الكبرى (ص 17).

والآن نأتي إلى تعريف كونفوشيوس.

اسمه ومولده ونشأته:

كونفوشيوس اسمٌ لاتينيٌّ مأخوذٌ من لفظِ (كون فو تزو)، ومعناه الأستاذ؛ حيث (كون) هو المعلمُ (كون)، وكُنِيتهُ (تشونج - ني)، ومن هذا اللفظِ الصِّيني (كون - فو - تزو) اشتقَّ في اللاتينية اسمُ كونفوشيوس⁽⁸⁾.

وجاء في الموسوعة الميسرة في الأديان أنَّ "اسمه كونج فوتس، وهو اسمُ القبيلة التي ينتمي إليها، وفوتس معناه الرئيسُ أو الفيلسوفُ؛ فهو بذلك رئيسُ كونج أو فيلسوفُها"⁽⁹⁾، وقيل إنَّ الاسمَ المشهورَ في الصِّين (كونغ فوتس)، ومعنى فوتس الحكيمُ أو الأستاذُ، و(كونغ) هو الاسمُ، معناه الأستاذُ أو الحكيمُ كونغ، وأنَّ الغربيينَ همَ منَ حرَّفوا الاسمَ إلى كونفوشيوس⁽¹⁰⁾.

أما مولده فقد وُلد سنة 551 ق.م في مدينة (تسو) وهي إحدى مُدن مقاطعة (لو) بولاية (شانغونغ) الحالية. وينسب كونفوشيوس إلى أسرةٍ عريقةٍ؛ فجده كان والياً على تلك الولاية، ووالده كان ضابطاً حربيّاً ممتازاً. تُوفي والده وله من العمر ثلاثُ سنواتٍ فتغيَّر الحالُ إلى فقرٍ وحاجةٍ شديدةٍ؛ فاضطَّر للعملَ ليكسبَ قُوته وقوتَ والدته، وهذه الظروفُ جعلتُ منه إنساناً نازعاً إلى معالي الأمور من غير استعلاءٍ ولا تكبرٍ لأنه عاش يتيماً؛ فعملَ في الرعي، وتزوَّج في مُقْتَبَلِ عمره قبل العشرين، ورزق بولدٍ وبنتٍ، لكنَّه فارق زوجته بعد سنتين من الزواج لعدم استطاعتها تحمُّلِ دِقِّته الشديدة في المأكل والمشرب، وقيل: لانشغاله بمهنة التدريس والتَّعليم، أو لقلَّة المال في يده، وقيل: لحزنه الشديد على وفاة والدته⁽¹¹⁾.

وكان من صفاته وأخلاقه: أنه كان رقيق القلب، مُحباً للعلم، سالكاً سُبُل التواضع والمجاملَّة، هيناً سهلاً في سلوكه، حسن المعشر، ولكن كان فيه حزمٌ وعزَّة نفس، مُترفعاً عن استغلال مَنْ هم دونه، وعلى الرغم من تواضعه فإنه كان شديداً على المنافقين أصحاب الوجهِين الذين يسمِّيهم بـ(لصوص الفضيلة)، كما كان شديد العناية بهندامه، متأنقاً في ملبسه، وانتقل هذا السبيلُ إلى أولاده وأحفاده وتلاميذه من بعده. وكان خطيباً بارعاً، ومتكلماً مُفوهاً، ذا عبارةٍ مُوجزةٍ تجري مجرى الأمثال القصيرة⁽¹²⁾، كما وهب نفسه لهداية النَّاس وتعليمهم، ومن هنا نرى كيف كان له طلبُ العلم وبراعته فيه.

تعليمه:

انصرف إلى العلم منذ صِغَرِه خصوصاً دراسة آداب القدماء؛ فدرَس كُتُب السَّابِقِينَ في التَّاريخ والتَّغْيِيرَاتِ التي تطرأ على الأرض، كما درَس الموسيقى، واهتمَّ بالتَّعلُّم على أشهرِ كُتُب التُّراثِ الصِّيني، وأُعجب بكتاب "التَّغْيِيرَاتِ"، واستمرَّ سنين في دراسته، كما درس الفروع السَّائدة في عصره؛ وهي الطُّقوسُ، أو الرِّسْمُ، والموسيقا، والرَّمايةُ، وقيادة العربات، والقراءة، والرياضة، والحساب⁽¹³⁾.

(8) انظر: حكمة الصين، للدكتور محمد فؤاد شبل، دار المعارف بمصر، 1997م، (64/1).

(9) ص(748/2)

(10) انظر: مقارنات الأديان القديمة، لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، 1991م، (ص68).

(11) انظر: الموسوعة الميسرة (748/2)، والديانات القديمة (ص68).

(12) انظر: الموسوعة (749/2).

(13) انظر: فلاسفة أيقظوا العالم، لمصطفى النشار (ص53، 134).

وتلقى علومه الفلسفية على يدي أستاذه الفيلسوف (لوتس) صاحب النحلة الطاوية؛ إذ كان يدعو إلى القناعة، والتسامح المطلق، ولكن كونفوشيوس خالفه فيما بعد فدعا إلى مقابلة السيئة بمثلها إحقاقاً للعدل.

وكان للمناصب الحكومية التي عمل بها أثرٌ في تعليمه؛ لأنه كان يعمل في مخازن القصور التي تُحفظ فيها المخطوطات والوثائق التاريخية، وأتاح له ذلك فرصة الاطلاع على تراث شعبه، وواصل تعليمه حتى بلغ الثلاثين من عمره، وبعد انتهائه من الدراسة تجول خارج مقاطعته لإصلاح الأوضاع القائمة، وكان يرى أنه يمكنه الوصول إلى تحقيق نموذج الحكومة الصالحة في الواقع باتباع تعاليمه، ولكنه أدرك أن ذلك لن يتحقق حتى يتولى منصباً سياسياً، إلا أن محاولته باءت بالإخفاق؛ فرجع إلى بلديته، واشتغل بالتدريس حتى كثر تلامذته وذاع صيته⁽¹⁴⁾.

وكانت المدارس في ذلك الوقت ملحقةً بقصور الأمراء لتؤهلهم لشغل الوظائف الكبرى؛ فأنشأ كونفوشيوس أول مدرسة نشأت منها طبقةٌ ثالثةٌ بين الشعب تعمل على تنبيه الحكومة إذا خرجت عن الحدود المرسومة والقوانين العامة، وتساعد الشعب في تيسير العلم والحكمة، ونجح كونفوشيوس في رفع هذه الطبقة إلى مكانة مرموقة لها مكانها وأثرها في الحياة الصينية⁽¹⁵⁾.

مناصبه:

1- عمل كونفوشيوس في مقتبل عمره أميناً لمخازن الحبوب في إقليم (لو)، وأدخل عليه كثيراً من التحسينات حتى رقاها الحاكم إلى وظيفة المشرف العام على الحقول.

2- عُيّن في منصب وزير الجريمة، وبدأ في دراسة أحوال المسجونين، وأسباب سجنهم، وكيفية القضاء على هذه الأسباب التي من أهمها: الجهل فقضى عليه بنشر العلم، والفقير فقضى عليه بتعليمهم الحرف المهنية؛ وبذلك قضى على أسباب الجريمة⁽¹⁶⁾.

3- وعيّن رئيساً للوزراء في سنة 496 ق.م؛ فأقدم حينها على إعدام بعض الوزراء السابقين، وعدد من رجال السياسة، وأصحاب الشعب، حتى صارت مقاطعة لو مقاطعةً نموذجية في تطبيق الآراء والمبادئ الفلسفية المثالية التي ينادي بها⁽¹⁷⁾، واستقامت الولاية على التقدم والبناء، إلا أن الولايات الأخرى كانت في نزاعاتٍ معها لخوفها من تحول ولاية (لو) إليهم واحتلالها لها؛ فدبروا مكيدهً لحاكمها حتى ينشغل عن (لو) وتعاليمه؛ فأرسلوا إليه ثمانين فتاةً من أجمل الفتيات الرافصات ومعهن مائة جواد، فشغل الحاكم عن كونفوشيوس وتعاليمه، ولم يستطع كونفوشيوس مقابلة الأمير اللاهي، وبعد فترة رجع الإقليم إلى الفقر والجريمة، فأصيب كونفوشيوس بالفتور وقرّر الرحيل،

(14) انظر: فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، للدكتورة هالة أبو الفتوح أحمد، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، (ص25).

(15) انظر: الكونفوشيوسية: ماضيها، حاضرها، موقف الإسلام منها، للدكتور ناصر بن فلاح الشهراني، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، (ص137).

(16) انظر: قصة الديانات، لسليمان مظهر، مكتبة مدبولي، 1415هـ، (ص191).

(17) انظر: الموسوعة (749/2).

وصار يرتحل بين الولايات الصينية من ولاية إلى أخرى، داعياً إلى وحدتها وإصلاح ما فسد من أمورها، إلى أن رجع إلى "لو" فكرس بقية حياته في التعليم والدراسة، وكان عمره قد تجاوز السبعين، ونزل به موت ابنه الوحيد (لي) وتلميذه الأثير عنده (هووي) فحزن عليهم حزناً شديداً⁽¹⁸⁾.

وفاته:

مات كونفوشيوس في سنة 479 ق.م بعد أن ترك مذهباً رسمياً وشعبياً استمر حتى منتصف القرن العشرين الحالي، وكان لموته تأثير على الحكام الذين أهملوه حياً فأرسل حاكم (لو) رجلاً ليصلي عليه، وأمّا تلاميذه فأقاموا على قبره في أكواخ صغيرة ثلاثة أعوام يؤدون له كل يوم ما يجب أن يؤدّيه الأبناء نحو والدهم، وظلّ تلميذه المحب له (تسي كنج) ثلاثة أعوام أخرى، وانتقل كثير من أسر التلاميذ وأهالي (لو) إلى السكنى بالقرب من قبره على نهر "استس"، فسُميت هذه القرية قرية (كونج) أو (كنج) نسبة إلى أسرة كونفوشيوس، ولا يزال هذا القبر مزاراً للعبادة والتّقدّيس إلى اليوم⁽¹⁹⁾.

أبرز الرموز بعد كونفوشيوس:

- 1- منشيوس (372-289 ق.م): هو تحريف لاسم الفيلسوف الصيني "منج تزو" أو "مانغ تزو"، وتعني "تزو" المعلم، ويُطلق عليه الصينيون لقب "المعلم الثاني"، ويُعدُّ أكبر أساتذة الكونفوشيوسية بعد مؤسسها كونفوشيوس، وكان في عهده اضطرابات سياسية وحروب، وركّز جهده في التعليم والتّقيف، وتفنيد أفكار المدارس التي ظهرت تُنافس الكونفوشيوسية⁽²⁰⁾.
- 2- تسي كنج: وُلد سنة 25م، وصار من أعظم رجال السُّلك السياسي الصيني.
- 3- تسي هسيا: وُلد سنة 507م، وصار من كبار المتفكّهين في الدين الكونفوشيوسي.
- 4- تسينكتنز: كان أستاذاً لحفيد كونفوشيوس، ويأتي في المرتبة الثانية بعد منسيوس من حيث الأهمية.
- 5- تشي هزيوان: عاش في عصر أسرة هان 127-200م.
- 6- تشوهزي 1130-1200 م: نشر الكتب الأربعة التي كانت تُدرّس في المدارس الأولية والابتدائية في الصين، ويُعدُّ الحجة الوحيدة.
- 7- الفيلسوف موتزي 470-381 ق.م: أضاف فكرة جديدة هي تشخيص إله السماء بشخص عظيم يُشبه الأدميين لتعليم آراء كونفوشيوس الذي صار رمزاً للوحدتين السياسية والدينية⁽²¹⁾.

(18) الموسوعة (749/2).

(19) انظر: الكونفوشيوسية (ص149).

(20) المصدر السابق (ص159).

(21) انظر: الموسوعة (750/2).

المبحث الثاني: مصادر الكونفوشيوسية ومعتقداتها

أولاً: مصادر الكونفوشيوسية:

هناك مجموعتان أساسيتان تمثلان الفكر الكونفوشيوسي؛ تسمى المجموعة الأولى الأسفار الخمسة، وتسمى الثانية الكتب الأربعة.

الكتب الخمسة:

هي الكتب التي نقلها كونفوشيوس ذاته عن كتب الأقدمين؛ وهي:

1- سفر التغيرات: ويسمى (قانون التغيرات) وكتاب (التحويلات)، واشتهر بأنه سر من الأسرار بين الكتب الصينية القديمة، ويحتل عند الصينيين مكانة عظيمة وصلت إلى حد التقديس؛ وهو تمارين خاصة في الكهانة التي تستخدم في العرافة وقراءة المستقبل، ويسم بالغموض والرمزية.

2- سفر الأحداث التاريخية: يحتوي على نبذة عن تاريخ الصين.

3- سفر الأغاني أو الشعر: كان كونفوشيوس قد اقتنع بأن الإنسان إذا ما تلا الشعر يومياً لن يقع في الخطأ، ويشتمل على "355" أغنية، إلى جانب تواشيح دينية تُغنى بمصاحبة الموسيقا.

4 - سفر المراسيم أو الطقوس: فيه وصف للطقوس الدينية الصينية القديمة، مع معالجة النظام الأساسي لأسرة (تشو)، ويسمى سفر الشريعة.

5- سفر الربيع والخريف: هو سفر ألفه كونفوشيوس نفسه يتضمن مجموعة من السجلات التاريخية المختلفة التي سُميت بحوليات الربيع والخريف؛ لأنه يُفتح بذكر السنة والشهر واليوم والفصل الذي وقعت فيه الحادثة.

الكتب الأربعة:

ألفها كونفوشيوس وأتباعه، ودونوا فيها أقوال أساتذتهم، مع التفسير تارةً والتعليق أخرى. وأهم ما فعل الحكيم "جو شي" - في مرحلة الكونفوشيوسية المحدثة في ما يتعلق بالكتب المقدسة- أنه أخرج فصلين من سفر الشريعة هما: فصل المعرفة الكبرى، وفصل سنة التوسط، وجعلهما كتابين مستقلين، ووضعهما في مجموعة جديدة مع كتاب الحوارات وكتاب منشويوس، وسمّى هذه المجموعة الكتب الأربعة؛ وهي:

1- كتاب المعرفة الكبرى: ويسمى كتاب التعليم العظيم، أو العلم العظيم، وكان فصلاً من فصول سجل الشريعة لمدّة بلغت خمسة عشر قرناً من الزمان، حتى جاء الحكيم "جو شي" فأخرجه من سفر الشريعة وجعله كتاباً مقدساً مستقلاً، وتهتم به الكونفوشيوسية اهتماماً كبيراً من عهده إلى الوقت الحاضر.

2- كتاب الانسجام المركزي: ويسمى كتاب التوسط أو عقيدة الوسط، أو مذهب الوسيلة الوسطى، ويجمع العلماء على أنّ "تزو سو" (492-431 ق.م) حفيد كونفوشيوس هو المسؤول عن تجميع كتاب "سنة التوسط"، ويُعد هذا الكتاب فصلاً من كتاب (الطقوس)، يعرض فيه الآراء حول الاعتدال، مُجدداً فيه فضيلة التوازن والتناغم؛ سواء فيما يخص الإنسان أو ما يخص اتساق ظواهر الكون.

3- كتاب المنتخبات: ويطلق عليه اسم إنجيل كونفوشيوس، ويسمى كتاب (الحوارات) أو (الأحاديث) و(المحاورات) و(الشذرات)، وتُعزى جميع مواد الكتاب إلى تلاميذ كونفوشيوس.

4 - كتاب منسيوس: ويتألف من سبعة كتب، ويُعدُّ هذا الكتاب من أهم كتب الفلسفة الصينية وأعلىها قدرًا (22).

وكلُّ هذه الكتب عندهم مقدَّسة، إلا أنها لا تتمنَّع بالمكانة التي تتمنَّع بها الأسفار؛ لأنَّهم يفرِّقون بين الأسفار والكتب؛ إذ إنَّ الأسفار المقدَّسة من وضع الأنبياء الملوك القدَّامى، أمَّا الكتب فمن عمل تلاميذ الأنبياء، أو العارفين المتأخِّرين الذين جاؤوا بعدهم، وتحتوي هذه الكتب على كلِّ فلسفاتهم ومعتقداتهم وتعاليمهم السَّاسية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها. وفيما يلي نعرض بعض هذه المعتقدات.

ثانيًا: المعتقدات الكونفوشيوسية:

ذكرنا من قبل أنَّ هذه المعتقدات ليست ناتجة عن أفكار كونفوشيوس أو دعوتيه، بل هي ممَّا يعتقده الصينيون من قبله ومن بعده، وكانت معروفة من قبله "بدين العارفين أو دين العالمين"، ولكنَّه المجدد لهذه الديانة فنُسبت إليه، وانتشرت حتَّى عدت ديانة لأغلب الصينيين اليوم تتبنَّى هذه المعتقدات وتحتُّ عليها. وتتمثَّل المعتقدات الأساسية لديهم في نظرهم إلى الإله أو إله السَّماء، والملائكة، وأرواح الأجداد.

1- الإله: يعتقدون في الإله الأعظم أو إله السَّماء، ويتوجَّهون إليه بالعبادة، كما أنَّ عبادته وتقديم القرابين إليه مخصوصة بالملك أو بأمراء المقاطعات، ويُطلق عليه لقب "تيان" أو "السَّماء"، وكان كونفوشيوس يرمز إلى "الله" بالحق أو الصِّدق؛ فالحقُّ المُطلق غير قابلٍ للتَّحطيم فهو خالدٌ، وما دام خالدًا فهو موجودٌ بذاته، وما دام موجودًا فهو لا نهائيٌّ، ولمَّا كان لا نهائيًّا فهو واسعٌ عميقٌ فهو مُتعالٍ رُوحِيٌّ (23).

والأرض عندهم لها إله هو إله الأرض، ويعبده عامَّة الصينيين، وكذلك الشَّمس والقمر، والكواكب، والسحاب، والجبال؛ لكلِّ منها إله، وعبادتها وتقديم القرابين إليها مخصوصة بالأمراء.

2- النُّبوة عند الكونفوشيوسية: لم يكن كونفوشيوس نبيًّا، ولم يدَّع ذلك، وهم يعتقدون أنَّه من الذين وهبوا تفويض السَّماء ليرشِّدوا النَّاس ويهدوهم؛ فقد كان مُداومًا على إقامة الشَّعائر والطُّقوس الدِّينية، وكان يعبد الإله الأعظم والآلهة الأخرى، مع اعتقاد وجود الأنبياء ويقدِّسونهم، ولكنَّ ما المعنى الاصطلاحِي للنَّبِيِّ عند الكونفوشيوسية؟ وللإجابة نقول: وردت عدَّة نصوصٍ منها ما جاء في كتاب التَّوسُّط: "إنَّ الصِّدِّيق يُصِيب بدون جُهدٍ، ويحصل بدون تفكيرٍ، هو يمشي متمكِّنًا على طريقة التَّوسُّط، فذلك نبيٌّ"، كما ورد في كتاب منسيوس ما نصُّه: "إنَّما النَّبِيُّ مَنْ تَمَّ الأخلاق والمُعاملات الإنسانية"، كما ورد في سفر الشَّرِيعَة: "واضعها (أي الشَّرِيعَة والموسيقا) يسمَّى نبيًّا، ومُخبرها يسمَّى عارفًا"، ونجد في هذا تشابهاً مع صفات النَّبِيِّ في الإسلام؛ قال حبيبنا عليه الصَّلَاة والسَّلَام: "إنَّما بُعثت لأتممَّ مكارم الأخلاق" (24)؛ فهم يؤمنون بالنُّبوة، وأنَّ النَّبِيَّ في مفهوم الكونفوشيوسية هو مَنْ يولد عارفًا، ومَنْ يتممَّ الأخلاق والمعاملات، ومَنْ يجمع بين الحكمة القوليَّة والعملية، ومَنْ يرشِّد النَّاس ويُمضي الحقَّ عليهم، وكلُّ ما يتكلَّم النَّبِيُّ عنه فهو مُخبرٌ عن "تيان"، لكنَّ لا نجد كونفوشيوس يُعلن أنَّه نبيٌّ، أمَّا بعد موتِه فقد فهم أتباعه من جواراته أنَّه نبيٌّ، وكذلك قال علماء المسلمين في الصِّين بنُبُوته (25).

(22) انظر: المعرفة الكبرى (ص27)، والموسوعة الميسرة (ص753).

(23) انظر: كنفوشيوس النبي الصيني - د حسن شحاته، (ص121) و الكونفوشيوسية، ناصر الشهراني (ص236).

(24) مسند الإمام أحمد (8729)، وصححه الألباني في الصحيحة.

(25) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح، عالم المعرفة (ص320)، المعرفة

3- الملائكة: فهم يقَدِّسون الملائكة، ويقدمون إليها القرابين إذ هي عندهم آلهة ذات تأثيرٍ وقُدسيَّةٍ تُوجب عليهم عبادتها، كما أن من أصول الأديان الصِّينية: أن لكلِّ شيءٍ ملكًا يُعبد؛ فالشمسُ والقمرُ والكواكبُ والسحابُ والمطرُ والجبالُ والأنهارُ، وما شاكلها من الكائنات، لكلِّ واحدٍ منها ملكٌ يعبدونه، ولكنَّ عبادةَ ملائكة الأرض والجبال والأنهار مخصوصةٌ بالأمراء وحُدُهم كما أن عبادةَ السَّماءِ مخصوصةٌ بالملكِ وحده.

4- أرواح الأجداد: يقَدِّس الصِّينيُّون أرواحَ أجدادهم الأقدمين، ويعتقدون بقاء هذه الأرواح، ويقدمون إليها القرابين؛ وقرابينهم هذه موائدٌ يُدخلون بها السُّرورَ على تلك الأرواح بأنواع الموسيقى، ويوجد في كلِّ بيتٍ مَعْبَدٌ لأرواح الأموات ولآلهة البيت.

5- كما يعتقد الكونفوشيوسيون في القضاء والقدر، ويقولون: كلُّ الحوادث مُقدَّرةٌ في السَّماءِ معروفةٌ، ويعتقدون أيضًا أن حصولَ العقوبات الدُّنيوية بسبب الآثام والدُّنوب؛ خصوصًا إذا تكاثرت وعمَّت، ومن مُعتقداتهم أن الحاكمَ ابنَ السَّماءِ؛ فإذا ما فسأ وظلم وجانب العدلَ سلطت السَّماءُ عليه من رعيته من يخلعه من يخلع محلَّه شخصٌ آخرٌ عادلٌ.

ومن اعتقاداتهم: الإيمانُ بالعناصر الخمسة وخصائصها، ووصولًا إلى القرابين الخمسة التي يقدمونها:

- فتركيبُ الأشياءِ خمسةٌ: معدنٍ وخشب، وماءٍ ونار، وتُرابٌ.

- والجهاتُ خمسٌ: شرقٌ وغرب، وشمالٌ وجنوب، ووسطٌ.

- ودرجاتُ القرابةِ خمسٌ: أبوةٌ وأمومة، وزوجيةٌ وبنوةٌ، وأخوةٌ.

- والألوانُ الأساسيةُ خمسةٌ.

- والموسيقا لها خمسةٌ مفاتيحٍ.

- والأضاحي والقرابينُ خمسةٌ⁽²⁶⁾.

المبحث الثالث: موقف الكونفوشيوسية من الإسلام والمسلمين

أجمع المؤرخون على أن أولَ بعثةٍ إسلاميةٍ إلى الصِّين كانت في زمن أمير المؤمنين عثمان I في العام "651م" في عصر الإمبراطور "يون هون" الملك الثالث للأسرة المالكة "تانغ" (618-907م)؛ وكان عثمان I قد أرسل بعثته إلى العاصمة الصِّينية "تشانغ أن" للزيارة وتبليغ الإسلام، وكان لهذه الدعوة أثرٌ في تطوُّر العلاقة بين الصِّين والعالم الإسلامي، ثم توالى البعثات الرسمية. وقد سجَّل المؤرخون في كتاب "تاريخ أسرة تانغ القديمة" أن الفترة بين العامين "651-798م" في أواخر أسرة "شون" الملكية الجنوبية (خلال ستمائة عام) تُعدُّ فترةً تطوُّرٍ وازدهارٍ في تاريخ الصِّين القديم⁽²⁷⁾. وقد دخل الإسلام إلى الصِّين عن طريق الفتوح الإسلامية التي كان على رأسها القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي الذي بلغت قوَّته كشغراً على حدود الصِّين؛ أي إنه فتح تُركستانَ الشرقية، ودخل مدينة كشغراً في العام "96هـ"،

الكبرى (ص76).

(26) انظر: الموسوعة الميسرة (2/755). وللتفصيل ينظر الكونفوشيوسية (ص249)

(27) انظر: الإسلام في الصين، لفهمي هويدي، عالم المعرفة، (ص34).

وبقيت تابعة للدولة الإسلامية حتى انتزعت منها في العهد المنشوري حين غزت الصينُ تركستانَ الشرقية في العام "1199م-1149م". كما دخل الإسلام الصينَ عن طريق الدعوة والانتقال إليها؛ خاصةً المناطق المجاورة لتركستان الشرقية، ويُعدُّ العهدُ المغوليُّ أشدَّ العهود التي انتشر الإسلامُ فيها في المناطق الداخلية من الصين، وكذلك أسهم في ذلك إقامة أفرادٍ من الجيش المسلم الذي أوفده الخليفة العباسي المنصورُ لنصرة الإمبراطور الصيني الذي استعان به لإنقاذ مملكته والقضاء على المتمردين في العام "756م-139هـ" في عهد أسرة "تانغ"، كما أسهم في انتشار الإسلام في الصين بعض التجار الذين وفدوا إلى الصين عن طريق البحر للتجارة والدعوة إلى الإسلام، وكانت مدينة "كانتون" أول مدينة استقرُّوا فيها، ثم توغَّلوا للدَّاخل.

وقد تقلَّبت بالمسلمين الأحوالُ فصاروا من الاستقرار والازدهار إلى فترات الضعف والهوان والقتل؛ ففي أول الأمر حين دخول الإسلام وفي أوائل عهد أسرة "سونغ" الملكية، وأواسط أسرة "يوان" الملكية، وأوائل أسرة "مين"، تمتع المسلمون بالحريَّة الكاملة في الإقامة والعمل والتجارة، والدعوة إلى الدين، والاستقرار في الحياة في أيام الإمبراطور "قوجون" أحد أفراد أسرة "تانغ"؛ فقد أكرم المسلمين، وجعل إقامتهم بجوار قصره وسط العاصمة "تشانغ آن"، وهي "تشي آن" في الوقت الحاضر، وحتى الآن يسكن فيها أحفادهم المسلمون، وسُميت "المنطقة المسلمة"، وكانوا يديرون اقتصاد الأسرة الملكية، ويُنون المساجد داخل العاصمة وخارجها، ثم انتشر المسلمون أيام هذه الأسرة في أنحاء الصين، وظهرت الدعوة في شتى أنحاء الصين حتى صارت إلى نموٍّ وازدهار، وكثُر عدد المسلمين حتى سُميت هذه الفترة "عصر التطور والازدهار الإسلامي في الصين".

- وأمَّا في عصر أسرة "يوان" فقد اعتدى المنغوليون على دول آسيا الوسطى الإسلامية، وأسروا المسلمين في هذه الدول وفي العراق والشام، وجأوا بهم إلى الصين في عصر الإمبراطور الظالم "جين جي سين خان"، والإمبراطور "قبلان خان"، واستعبدوا المسلمين، وسخَّروهم للعمل في الأعمال الشاقَّة، وعانى المسلمون في عصر هذين الظالمين معاناةً شديدةً فعاشوا تحت الظلم، ومع هذا لم يتركوا الدعوة إلى الإسلام.

- وبعد موتيهما تحسَّنت أحوال المسلمين تحسُّناً كبيراً حتى أسلم بعضُ أحفاد "جين جي"، وقام المسلمون بدورٍ كبيرٍ في المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وزاد نفوذُ المسلمين أيام المغول الذين كانوا جنوداً في تركستان وترقَّوا في المناصب، وأشهرهم السيِّدُ الأجلُّ شمس الدين عُمر الذي كان ضابطاً في الجيش، ثم صار حاكماً عسكرياً على مدينة "تاي يوان"، ثم حاكماً لمدينة "بنيانغ"، ثم قُلب منصب القاضي في مدينة "يان جين"، ثم صار حاكماً عليها، وأصبح مديراً سياسياً في بلاط "قبلان خان"، ثم عُيِّن حاكماً على ولاية "سينشوان"، ثم حاكماً لولاية "يونان"، وأنشأ المدارس والمعاهد الدينية، وترك بعد وفاته خمسة أولاد كان لهم كلُّهم دورٌ في الإدارة (28).

- وبقيت أوضاع المسلمين كما هي إلى أن ظهرت أسرة "تشين المنشورية" (1616-1911م) التي أسست دولتها الذاتية ببلدتها في شمال شرق الصين، ثم سيطرت على الصين كلها، وأثارت الفتنة بين المسلمين وقومية "هان" - وهي قومية كبرى في الصين - حتى قتل بعضهم بعضاً، ودمر الكُفار بيوت المسلمين ومساجدهم، فاضطَّروا المسلمون إلى الانتفاض عدَّة مرَّاتٍ في جنوب غرب الصين وفي شمال غربها، وعاشوا تحت الظلم والطغيان، وقُتل الكثير منهم.

(28) انظر: الإسلام في الصين (ص52)، والكُونفُوشِيوسِيَّة (ص462).

- أما الكونفوشيوسية فهي الدين الأصلي للصينيين، وكلّ دين من خارج الصين يحارب، والإسلام دخل إلى الصين متأخراً، وقد نشره المسلمون متبعين استراتيجيّة التصالح مع الكونفوشيوسية بالبحث عن النقاط المشتركة وترك الخلافات؛ خاصة وأن كثيراً من تعاليم الإسلام متشابهة مع مبادئ الكونفوشيوسية، وأن إضفاء الصبغات الكونفوشيوسية بما لا يخالف الدين الإسلامي على المساجد والمؤلفات والترجمات الصينية كان نتيجة لسبب سياسي، وقد اضطر المسلمون إلى فعل ذلك ولكنه لا يدل على (كفشة) الإسلام في الصين كما يدعي البعض.

- ثم إن ديانة الكونفوشيوسية لا تحرص على دعوة الناس إليها كما هو الحال في النصرانية والإسلام⁽²⁹⁾.

المبحث الرابع: عودة الكونفوشيوسية إلى الصين (المعاصرة)

بعد أن كانت الكونفوشيوسية ديناً رسمياً للدولة في عهد الإمبراطور "و تي" (78-140 ق.م)، وكان لها سلطة رسمية، غير أنه بعد دخول البوذية والطاوية لم تبقى الكونفوشيوسية على نقائها، بل امتزجت بها عناصر الطاوية، ومبادئ فلسفة المشرّعين، وآراء مدرسة "مو تزو"؛ فصارت الكونفوشيوسية بعد تشددها ذات نزعة تأملية عقلانية تمكنت من جعل أتباعها أشد تعاطفاً مع الفكر البوذي، وضعفت هذه الديانة لأسباب كثيرة. وفي هذا المبحث نتحدث عن أسباب ضعفها ثم عودتها مرة أخرى.

أولاً: أسباب ضعف الكونفوشيوسية:

لا يمكننا تقصي جميع الأسباب؛ لذا سوف نكتفي بذكر بعض هذه الأسباب مختصرة في عدة نقاط:

1- تحول النظام في الصين إلى النظام الجمهوري إثر ثورة الشعب على أسرة "ماتشو" الذي كثر الفساد في عهده فاضطر إلى التنازل عن عرش الإمبراطورية سنة "1912م"، فتحوّل النظام إلى الجمهورية، وهو ما أدى إلى اختفاء الكونفوشيوسية من الحياة الدينية والسياسية، لكنها بقيت ماثلة في الأخلاق والتقاليد.

2- ظهور القوى الأجنبية وامتيازاتها أثر الحرب التي قام بها الإنجليز، وألحقت بهم هزيمة ساحقة، وقد سُميت هذه

الحرب حرب الأفيون (1845-1892م).

3- اندحار القوات الوطنية أمام القوات الشيوعية: فقد انتكست الكونفوشيوسية نكسة عظيمة على أيدي الشيوعيين؛ وذلك

لأن الزعيم الصيني "ماو تسي تونج" كان يكره الكونفوشيوسية عداً شديداً؛ فألى على نفسه أن يحرر الصينيين من تأثيرها.

4- كما ظهر تيار معاد للكونفوشيوسية ومناهض لها، ومناصر للتيار الغربي.

فهذه أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف الكونفوشيوسية أمام التيارات الفكرية والدينية المخالفة لها والمعادية⁽³⁰⁾.

ثانياً: عودة الكونفوشيوسية إلى الصين:

كان يُظن أن الكونفوشيوسية ستختفي عن المسرح السياسي والاجتماعي في الصين، إلا أن الشيوعية لم تقض على

الكونفوشيوسية، بل كان الأمر على النقيض من ذلك؛

(29) انظر: الكونفوشيوسية، (ص492-494).

(30) انظر: الصينيون المعاصرون، وون بن، ترجمة عبد العزيز حمدي، (ص252)، والفكر الشرقي (ص435)، والمعرفة الكبرى،

(ص188).

فقد عملت الكونفوشيوسية على تغيير معالم الشيوعية فأبعدتها عن الشيوعية الروسية؛ وذلك لأن الكونفوشيوسية قوة روحية هاضمة لأي فلسفة، تحولها إلى صفها بدلاً من الوقوف في وجهها، وعلى الرغم من كل التغيرات والتطور الحاصل بعد الثورة الشيوعية، وانتشار الفكر الماركسي، وإضافات "ماو تسي تونج"، فإن تأثير المعتقدات الكونفوشيوسية ظل سائداً في الصين، وظلت الصين متمسكة بالأيديولوجية الكونفوشيوسية للحفاظ على التراث الصيني، وعلى الطابع الفكري والسياسي للأمة الصينية، وظلت تعمل على حماية العادات الصينية من الاندثار والانهيار، وفي ظل الإصلاحات الأخيرة في الصين عادت الروح إلى تعاليم كونفوشيوس؛ فقد اتخذت الحكومة الصينية من تلك التعاليم درعاً واقياً لمكافحة الرذائل السبع أو الرذائل الرأسالية؛ وهي: الرذيلة، والصور الإباحية، والقمار، والمخدرات، وخطف الأطفال والنساء، والاعتقاد في الخرافات الإقطاعية، والعصابات المعروفة باسم الثالوث، وعادت أفكار كونفوشيوس بعد حوالي ألفي عام، ووصفه الرئيس الصيني "جيانغ تسي من" بأنه أعظم مفكر قديم في الصين، وقال بأنه لا بد أن يستفيد الشعب الصيني من تعاليمه وعمق فلسفته.

ودافع عدد من العلماء في بداية القرن العشرين عن الثقافة الصينية عامة، وعن الكونفوشيوسية خاصة بعد أن كادت تختفي تحت وطأة التبشير فأحيوا التراث الكونفوشيوسي في هذا العصر، وأشهر هؤلاء هو الأستاذ "موزونغ سان". وكان ظهور الكونفوشيوسية المعاصرة رداً على معاناة الصينيين مدة قرنين من الزمان أو أكثر من الاستعمار الغربي سياسياً وفكرياً وعسكرياً ودينيًا، وقد شعر جماعة من علمائهم بخطر عظيم على ثقافة الصين وفلسفتها فعزموا على إحيائها وتجديدها بما يقتضيه نظام العصر الحديث، واشتهرت هذه الجماعة بالكونفوشيوسية المحدثّة المعاصرة؛ تمييزاً لها عن الكونفوشيوسية المحدثّة في عهد أسرتي "سونغ" و"مينغ" الإمبراطوريتين، والكونفوشيوسية الأصلية في عهد كونفوشيوس منشيوس. أما أهم التغيرات التي حصلت في الكونفوشيوسية المعاصرة فهي:

1- اعتمادها على الأسفار الخمسة: وهي كتاب الحوار، وكتاب منشيوس، وكتاب سنة التوسط، وكتاب التعليقات على كتاب التغيرات، وكتاب المعرفة الكبرى، خلافاً للكونفوشيوسية المحدثّة التي اعتمدت الكتب الأربعة.

2- تقديمها هذه الكتب على كتاب المعرفة الكبرى، على النقيض من الكونفوشيوسية المحدثّة التي أعطت الصدارة لكتاب المعرفة الكبرى.

3- جعلها المبادئ الكونفوشيوسية منطلقاً للتحديث الصيني؛ فلم يجل الصينيون الثقافة الغربية محلّ الثقافة الصينية، ولم يرفضوا الثقافة الغربية رفضاً تاماً، بل استخدموا معيار قيم الثقافة الصينية لمعرفة الثقافة الغربية والحكم عليها.

4- يرى الكونفوشيوسيون المعاصرون أنّ على المجتمع الغربي أن يتعلم من المجتمع الشرقي، وأن يستوعب التنوير المفيد في الثقافة الصينية؛ ومن ذلك أن يتعلم روح الحاضر، وسعة الصدر، والحكمة الدقيقة والخارقة للطبيعة، والمشاعر الرقيقة العاطفية، أو مشاعر الشفقة والآلام، ويشعر أنّ العالم أسرة واحدة.

5- وكانت أبرز معالم العودة للكونفوشيوسية عقد مؤتمر دولي في العام "1989م" في مقاطعة شانغونغ موطن كونفوشيوس عن الدراسات الكونفوشيوسية، ونصب التماثيل لكونفوشيوس في أنحاء متفرقة من الصين، وإقامة منتدى عن دور كونفوشيوس وتأثيره في تطوير الحضارة في القرن الحادي والعشرين، وقد التقى حوالي مائة من الخبراء والعلماء والصناعيين من داخل الصين وخارجها في مدينة "شننتشن" للمشاركة في هذا المنتدى، والتخطيط لبناء جامعة كونفوشيوس الصينية لإبراز الثقافة الصينية، وتبادل الثقافة بين الصين والدول المختلفة، ورفع القيود عن الكونفوشيوسية في إندونيسيا، وإقامة يوم كونفوشيوس في الولايات المتحدة، وإنشاء المراكز والكليات الكونفوشيوسية في الصين وأجزاء متفرقة من العالم.

وبعد..

فهذه أبرز ملامح عودة الكونفوشيوسية إلى الصين؛ فهي عودة قوية، وعمل متواصل، ونشر لهذا الفكر في مختلف أنحاء العالم، ذكرناها اختصاراً للوقت والبحث؛ لأنها تحتاج إلى بحث مطوّل لو أردنا الإحاطة بهذا الدين والمراحل التي مرّ بها⁽³¹⁾.

الخاتمة

نتائج البحث:

- 1- الكونفوشيوسية دينانهُ الصّين، وكانت معروفة قبل كونفوشيوس بديانة العارفين، أو ديانة العالمين.
- 2- الكونفوشيوسية دين وثني، يعبد كل ما في الكون من سماء وأرض، وبحار وأنهار، وملائكة، وأرواح الآباء والأجداد.
- 3- لا يؤمن الكونفوشيوسيون بالبعث والجنّة والنار.
- 4- مرّت الكونفوشيوسية بأزمانٍ من الضّعف، واستطاعت تجديد فكرها وشعائرها الدينية مرّتين: مرّة على يد كونفوشيوس، وأخرى على يد الكونفوشيوسيين المعاصرين.
- 5- من خلال النّظر والتأمّل في عقيدتهم في الإله والملائكة، وموقف كونفوشيوس من الأنبياء والأصنام، يظهر لنا أنّ تلك المنطقة لا يمكن أن تخلو من إرثٍ نبويّ سابق، وإن لم تجزم المصادر بذلك.
- 6- مفردات الكونفوشيوسية الأخلاقية تكاد تكون متوافقة مع ما جاء به الإسلام.

التوصيات:

- 1- دراسة الكونفوشيوسية وما شابها من أديان، وترجمتها أدبياتها إلى العربية لإثراء المكتبة العربية بالمراجع الأصيلة.
- 2- تقديم الدّعم للمسلمين في الصّين للتخفيف من معاناتهم، وبذل الجهود في سبيل نشر الدّعوة إلى الإسلام، وإرسال البعثات، وإقامة الندوات، وتفعيل التّعاون والاتّفاقات الثقافيّة والاقتصاديّة لدعمهم بشتّى الوسائل.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

- أبو زهرة، محمد. (1991م). مقارنات الأديان، الديانات القديمة، القاهرة: دار الفكر العربي.
- أحمد، هالة أبو الفتوح. (د.ب). فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.
- بن، وون. (د.ب). الصينيون المعاصرون. ترجمة عبد العزيز حمدي.
- الجهني، مانع حماد. (1424هـ). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. ط5، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.
- سعفان، حسن شحاتة. (1956م). كونفوشيوس النبي الصيني. مصر: مكتبة النهضة.

(31) الصينيون المعاصرون، وون بن، ترجمة عبد العزيز حمدي، (ص252)، والفكر الشرقي (ص435)، والمعرفة الكبرى، (ص188).

شبل، فؤاد محمد. (1967م). حكمة الصين. دار المعارف بمصر.
الشهراني، ناصر بن فلاح. (1432هـ). الكونفوشيوسية: ماضيها، حاضرها، موقف الإسلام منها. ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض.
كولر، جون. (د.ت). الفكر الشرقي القديم. ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة إمام عبد الفتاح، عالم المعرفة.
ماشويبي، زهرة الدين طيب إدريس. (1424هـ). المعرفة الكبرى في الديانة الكونفوشيوسية- دراسة مقارنة بالإسلام.
مظهر، سليمان. (1989م). قصة الديانات. القاهرة: مكتبة الوطن العربي، ط1.
النشار، مصطفى. (1998م). فلاسفة أيقظوا العالم، دار قباء للنشر، ط3.
هويدي، فهمي. الإسلام في الصين، عالم المعرفة.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.36.14